قصص إسلامية للأطفال

المحتال

تأليف

محمد منير الجنباز

مكتبة
التوبة

ⓒ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

المحتال.- الرياض

٣٦ص، ١٧x٢٤سم.- (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٣ - ٥١ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨٢٢

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨٢٢

ردمك: ٣ - ٥١ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبعة جديدة منقحة

التوبة

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

دِينُنَا الإسلامي:

جاءَ الدّينُ الإسلامِيُّ هِدَايَةً للناسِ جمِيعاً، يَحْمِلُ لهمُ الخَيْرَ والمَحَبّةَ، فَيُعَلِّمُهُمْ الإيمانَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ، والعبادَةَ الخالِصَة للهِ تَعالَى وَحْدَهُ، وَالتَّقَرُّبَ إِلى اللَّهِ تَعالى بالعبادَةِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا جَاءَ الدّينُ الإسلامي لِيُنَظِّمَ حَيَاةَ النّاسِ وَمُعَامَلاتِهِمْ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ، فأَوْجَبَ طَاعَةَ الكَبِيرِ

في غَيْرِ مَعْصِيَةٍ لِلَّه، وَاحْتِرَامِ الكَبِيْرِ لِلصَّغير، وَعَطْفِ القَوِيّ على الضَّعِيْفِ، وَأَوْجَبَ المَحَبَّةَ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ وَحُسْنَ الخُلُقِ، لِيَعِيْشَ النَّاسُ في أَمَانٍ وَاطْمِئْنَانٍ، كَمَا أَمَرَ الإِسْلاَمُ المُسْلِمِيْنَ بِالتَّعَاوُنِ وَمُسَاعَدَةِ المُحْتَاجِينَ، وَمَدِّ يَدِ العَوْنِ لِلضُّعَفَاءِ وَالأَيْتَامِ، وَقَدْ كَانَتْ حَيَاةُ الصَّحَابَةِ التي عَاشُوْهَا زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ هي المَثَلَ الذي يَجِبُ أَنْ نُقَلِّدَهُ، فَأَحَبُّوا بَعْضَهُمْ بَعْضاً، وَسَادَ بَيْنَهم العَطْفُ وَالمَوَدَّةُ والتآخي والتراحُمُ، وَتَعَامَلُوا بالأَمَانَةِ وَالوَفَاءِ، وَعَدَمِ الغِشِّ والخِدَاعِ، حَتّى كَانُوا

مُجْتَمعاً مُتَماسِكاً مُتَعاوِناً، يُحِبُّ فيه المُسْلِمُ أَخَاهُ في اللَّهِ أَكْثرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَتَمنَّى لَهُ كُلَّ خَيْرٍ في مَالِهِ وَبَدَنِهِ وَأَوْلاَدِهِ، وكانَ الرّسولُ ﷺ يعيشُ بينهم، فَكَانَ قُدْوَةً لَهُمْ، يَحُثُّهم على الخير، وَيُوَجِّهُهُمْ إلى الطّريق المُسْتَقيم، فَارْتَقَوا بالمَحَبَّةِ والإِيْثَارِ حَتّى قَالَ اللَّهُ فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فَالمُسْلِمُ كَانَ يَتَخَلَّى عن طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ لأَخِيْهِ المُسلمِ إِنْ رآهُ جائِعاً، وَيُفَضِّلُ أَنْ يكُوْنَ هو الجائعَ لا أَخَاهُ المُسْلِمَ، وهذا هو مَعْنى الإيثارِ عَلَى النَّفْسِ، وقد أُهْدِيَ

لِعَلِيِّ بنِ أَبي طالبٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ طعاماً ذاتَ لَيْلَةٍ، وكَانَ بَيْتُهُ خَاوِياً مِنَ الطَّعَامِ وَهُوَ بِحَاجَةٍ لَهُ، لَكِنَّهُ كانَ في تلكَ الليلةِ قَد تَعَشّى، فَلَمْ يَدَّخِرْهُ حَتّى الصّباحِ، وَإِنَّما قَالَ: رُبَّمَا لَمْ يَتَعَشَّ جاري حَتّى الآن، وَقَدْ لا يكونُ عِنْدَهُ مَا يَأْكُلُهُ الآنَ، فَحَمَلَ الطَّعَامَ إلى جارِهِ وَأَهْدَاهُ إِيّاهُ، ثم إِنَّ جَارَهُ كَانَ قَد تَعَشّى أَيْضاً، فَحَمَلَه بِدَوْرِهِ إِلى جَارِهِ وَأَهْدَاهُ إِيّاهُ، ثم إِنَّ الآخَرَ حَمَلَهُ إِلى جارِهِ وقَالَ لَعَلَّه أَخْرَجُ مِنّي إِلى هذا الطعامِ، وهكذا ظَلَّ الطَّعَامُ يَنْتَقِلُ مِنْ بَيْتٍ إلى بَيْتٍ حَتّى عَادَ

إِلى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يُؤْثِرُ غَيْرَهُ بهذا الطّعامِ، سُرَّ عَلِيٌّ مِنْ هذا التَّعَاوُنِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِهذهِ الصُّورَةِ الرّائِعَةِ مِنَ المَحَبَّةِ. وَلَكِنْ مَعَ مُرُوْرِ الزّمَنِ وانْقِضَاءِ ذَلِكَ العَصْرِ الرَّائِعِ، قَلَّتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، وَتَغَيَّرَ بَعْضُهُمْ، وَمَالَ إِلى الطَّمَعِ، وَإِلى اسْتِغْلالِ عَطْفِ المُخْلِصِيْنَ الطّيِّبِينَ المُلْتَزِمِينَ بِتَعَالِيْمِ الإِسْلامِ.

لَقَدْ حَضَّ اللّهُ الأَغْنياءَ على التَّصَدُّقِ وَمُسَاعَدَةِ الفُقَراءِ، وَوَعَدَهُمْ بِالأَجْرِ وَالثَّوابِ وَمُضَاعَفَةِ الحَسَنَاتِ لِقَاءَ التَّصَدُّقِ عَلَى الفقراءِ، فَقالَ اللّهُ

تَعالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

لِذَلِكَ كَانَ على الأَغْنِيَاءِ أَنْ يَدْفَعُوا لِلْفُقَرَاءِ مَالاً يُعِينُهُمْ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْعَيْشِ في هذِهِ الحَيَاةِ، لَكِنَّ بَعْضَ المُحْتَالِيْنَ اسْتَغَلُّوا حَياةَ التَّعَاوُنِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، فَتَصَنَّعُوا الفَقْرَ، وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ لِلسُّؤَالِ وَأَخْذِ المَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَجَعَلُوا عَمَلَهُمُ الجُلُوْسَ في الطُّرُقَاتِ وَسُؤَالِ النَّاسِ، وَلَبِسُوا - مِنْ أَجْلِ الخِدَاع - الثِّيَابَ البَالِيَةَ المُمَزَّقَةَ، لِكَيْ يَسْتَدِرُّوا

عَطْفَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، كَمَا تَصَنَّعُوا بِالعَجْزِ وَالمَرَضِ وَهُمْ أَصِحّاءُ قَادِرُوْنَ عَلَى العَمَلِ، لَكنَّ الكَسَلَ وَعَدَمَ مَحَبَّتِهِم لأُمَّتِهِمْ، جَعَلَهُمْ يَمِيْلُوْنَ إِلى أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْحِيْلَةِ، وَفي هَذَا ضَرَرٌ لِلأُمَّةِ، وَتَعْطِيْلٌ لِقُدُرَاتِهَا الإِنتَاجِيَّةِ.

الإِسلامُ لا يُؤَيِّدُ إِعْطَاءَ المُحْتَالِينَ:

إِنَّ تقديمَ الصَدَقَةِ يَنْبَغي أَنْ يَكُوْنَ لِلْمُسْتَحِقّيْنَ فَقَط، فالإِنْسَانُ الّذي أَقْعَدَهُ المَرَضُ وَضَعُفَ عَنِ الكَسْبِ يَسْتَحِقُّ الصَّدَقَةَ، وَيَسْتَحِقُّهَا كَذَلِكَ: اليَتِيْمُ وَالفَقِيْرُ وَالمَرْأَةُ الّتي

مَاتَ عَائِلُهَا، وَالمُسْلِمُ الَّذي احْتَرَقَ مَنْزِلُهُ أَوْ دَاهَمَتْهُ السُّيُوْلُ وَجَرَفَتْ مَا فِيْهِ، وَالْعَاجِزُ الَّذي شَاخَ وكَبُرَ فلا يَسْتَطِيْعُ العَمَلَ، وَكَذَلِكَ الإِنْسَانُ الَّذي أَضَاعَ مَالَهُ وَهُوَ مُسَافِرٌ وَلاْ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَعُوْدَ إِلى بَلَدِهِ إلاّ بالمُسَاعَدَةِ، وَعَلَيْهِ فَهُنَاكَ أَصْنَافٌ مِن النّاسِ فُقَرَاْءُ يَسْتَحِقُّوْنَ الصَّدَقَةَ والمُسَاعَدَةَ، وعَلَى المُسْلِمِينَ أَنْ يُسَاعِدُوهُمْ، وَكَذَلِكَ هُنَاْكَ المُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ الَّذِيْنَ يُدَافِعُونَ عَنْ عَقِيدَتِهِمْ ضِدَّ الطُّغَاةِ وَالبُغَاةِ وَالمُسْتَعْمِرِيْنَ، وَيَذُودُوْنَ عَنْ دِيَارِ المُسْلِمِيْنَ،

فَهَؤُلاءِ يَسْتَحِقُّوْنَ الصَّدَقَةَ لأَنَّهُمْ انْقَطَعُوا إِلى الجِهَادِ، وَوَاجِبُ المُسْلِمِينَ تَقْدِيْمُ المَالِ إِلَيْهِمْ.

أَمَّا الكُسَالَى مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ قَعَدُوا عن الكَسْبِ وَالْعَمَلِ، وَجَعَلُوا السُّؤَالَ صَنْعَتَهُمْ، فَهَؤُلاَءِ لاَ يَسْتَحِقُّوْنَ الصَّدَقَةَ، لأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوا، وَلَقَدْ رَغَّبَ الإِسْلاَمُ بِالْعَمَلِ، وَشَجَّعَ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبلَهُ فَيَحْتَطِبَ خَيرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوْهُ**» وَقَالَ أَيْضاً: «**الْيَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**»، فَالْيَدُ العُلْيَا هِيَ المُعْطِيَةُ،

وَالْيَدُ السُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمُرُّ عَلَى المَسَاجِدِ، فَإِذَا رَأَى أَحَداً يُطِيْلُ المُكُوْثَ فِيْهَا وَلَا يَذْهَبُ لِلْعَمَلِ، زَجَرَهُ وَأَمَرَهُ بِالْعَمَلِ، وَأُثِرَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ السَّمَاءَ لَا تُمْطِرُ ذَهَباً وَلَا فِضَّةً» وَهَكَذَا نَشِطَ المُسْلِمُوْنَ فِي العَمَلِ، وَكَرِهُوا الكَسَلَ، لأَنَّ العَمَلَ عِبَادَةٌ، وَلِلْعَامِلِ ثَوابٌ كَبِيْرٌ. وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.

أصنافٌ مِنَ المُحْتَالين:

بَرَعَ كثيرٌ مِنَ المُحْتَالِيْنَ الَّذِيْنَ يَمُدُّوْنَ أَيْدِيَهُمْ

إِلى النَّاسِ، وَيَطْلُبُوْنَ مِنْهُمُ المُسَاعَدَةَ فِي جَعْلِ أَنْفُسِهِمْ فُقَرَاءَ ذَوِيْ حَاجَاتٍ، لِكَيْ يَسْتَدِرُّوا عَطْفَ النَّاسِ، فَأَصْنَافٌ مِنْهُمْ يَلْبَسُوْنَ الثِّيَابَ المُمَزَّقَةَ، وَأَصْنَافٌ آخَرُوْنَ يَرْبِطُوْنَ عَلَى رُؤُوْسِهِمْ عِصَابَةً صُبِغَتْ بِاللَّوْنِ الأَحْمَرِ، لِيُوْهِمُوا النَّاسَ أَنَّهُمْ جَرْحَى أَوْ مُصَابُوْنَ إِصَابَاتٍ تَمْنَعُهُمْ مِنَ العَمَلِ، وَآخَرُوْنَ جَعَلُوا الأَرْبِطَةَ المَصْبُوْغَةَ بِالأَحْمَرِ عَلَى أَذْرِعَتِهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، لِيُوْهِمُوا النَّاسَ أَنَّهَا مَكْسُوْرَةٌ، وَآخَرُوْنَ يَضَعُوْنَ حَوْلَهُمْ أَطْفَالَهُمْ بِصُوَرٍ بَائِسَةٍ، أَوْ يُعْطُوْنَهُم بَعْضَ فُتَاتِ الطَّعَامِ، وَيَلْبَسُوْنَ الثِّيَابَ المُمَزَّقَةَ

الوَسِخَةَ، وَهَكَذَا تَفَنَّنَ المُحْتَالُوْنَ كَثِيْراً في التَّصَنُّعِ وَالظُّهُوْرِ بِمَظْهَرِ البُؤَسَاءِ المَسَاكِيْنِ، وَالمُسْلِمُوْنَ يَعْطُوْنَهُمْ - عَنْ طِيْبِ نَفْسٍ - حَسَنَةً قُرْبَى إِلى اللَّهِ، ثُمَّ يَعُوْدُ هَؤُلاءِ المُحْتَالُوْنَ فِي اليَوْمِ التَّالي يَسْأَلُوْنَ وَيَسْأَلُوْنَ وَلاْ يَكْفِيْهِمْ مَا جَمَعُوْهُ فِي اليَوْمِ الأَوَّلِ رَغْمَ كَثْرَتِهِ، فَيَكْنِزُوْنَهُ وَيَطْلُبُوْنَ المَزِيْدَ، وَيُصْبِحُ بَعْضُهُمْ أَكْثَرَ غِنىً مِنَ النَّاسِ المُتَصَدِّقِيْنَ، وَتُصْبِحُ مِهْنَتُهُمْ جَمْعَ المَالِ والثَّرَاءِ عَنْ طَرِيْقِ السُّؤَالِ.

شفيق المُحتال:

حَدَّثَنِي أَحَدُ زُمَلاَئِي عَنْ قِصَّةِ شَفِيْقٍ

المُحْتَالِ، الّذي امْتَهَنَ الشَّحَاذَةَ وَسُؤَالَ النَّاسِ،

وَلَكِنْ بِأُسْلُوْبٍ يَخْتَلِفُ تَمَاماً عَنْ أَسَالِيْبِ

الشَّحَّاذِيْنَ الآخَرِين، لَقَدْ كَانَ يَنْتَقِي فِي كُلِّ فَتْرَةٍ

مَدِينَةً صَغِيرَةً يَسْمَعُ عَنْ أَهْلِهَا الطِيْبَةَ وَالتَّدَيُّنَ،

فَيَلْبَسُ لَهُمْ لِبَاسَ التَّقْوَى، لِتَمِيْلَ إِلَيْهِ قُلُوْبُهُمْ،

وَيَتَكَلَّمَ العَرَبِيَّةَ الفُصْحَى وَالأَدْعِيَةَ المَأْثُوْرَةَ،

لِيُحَبِّبَ المُحْسِنِينَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَغُضُّ مِنْ بَصَرِهِ،

وَيُطْرِقُ رَأْسَهُ وَلا يَرْفَعُهُ، وَلا يُلاَحِقُ النَّاسَ

بِنَظَراتِهِ، يَنْتَقِي مَكَاناً وَسَطاً في المَدِيْنَةِ، بِحَيْثُ

يَمُرُّ مِنْهُ غَالِبِيَّةُ السُّكَّانِ، وَلاَ يَطْلُبُ مِنْهُمُ الْقِرشَ

أَوِ الدِّرْهَمَ، بَلْ كَانَ يَقُوْلُ: يَا اللَّهُ يَا رَزَّاقُ يَا كَرِيْمُ، لَيْسَ كَثِيْراً عَلَيْكَ يَا رَبِّ أَنْ تَرْزُقَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ ثَلاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ جُنَيْهاً وَنِصْفاً، هَذَا طَلَبِيْ مِنْكَ، وَهذِهِ حَاجَتِي يَا رَبِّ.

وَكَانَ يَطْلُبُ هَذَا الطَّلَبَ وَيُرَدِّدُ هَذِهِ العِبَارَةَ طِيْلَةَ يَوْمِهِ، إِنَّهُ يَطْلُبُ مَبْلَغاً كَبِيْراً، خُصُوْصاً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ مُرَتَّبَ المُوَظَّفِ الكَبِيْرِ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ لاَ يَزِيْدُ عَنْ عِشْرِيْنَ جُنَيْهاً، وَثَابَرَ هَذَا السَّائِلُ بِلا فُتُوْرٍ عَلَى تَرْدِيْدِ طَلَبِهِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى إِسْمَاعِ النَّاسِ لِمَا يُرِيْدُ، إنه يُرِيْدُ ثَلاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ جُنَيهاً

وَنِصْفاً، وَحَفِظَ النَّاسُ المَبْلَغَ المَطْلُوْبَ، وَلَكِنَّهُمُ اسْتَكْثَرُوْهُ، وَأَبَوْا أَنْ يَمُدُّوا لَهُ يَدَ العَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ، وَلَمْ يَيْأَسْ شَفِيْقٌ، لأَنَّهُ خَبِيْرٌ في صَنْعَةِ الشِّحَاذَةِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ اسْتِجَابَةِ النّاسِ لِطَلَبِهِ.

إِنَّهُ لاَ يُرِيْدُ أَنْ يَجْمَعَ المَالَ عَنْ طَرِيْقِ القِرْشِ وَالقِرْشَينِ، وَلَوْ جَلَس في قَارِعَةِ الطَّرِيْق يَجْمَعُ هَذَا المَبْلَغَ مِنَ القِرْشِ والقِرْشَيْنِ، لاسْتَغْرَقَ سَنَةً كَامِلَةً دُوْنَ أَنْ يَحْصُلَ على هَذَا المَبْلَغِ، لِذَلِكَ وَطَّدَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ، وَعَلَّمَ لِسَانَهُ عَلى التَّكْرَارِ،

وَكَانَ سَعِيْدٌ رَجُلُ الأَمْنِ، يُرَاقِبُ هَذَا السَّائِلَ وَيَشُكُّ في أَمْرِهِ، إِنَّهُ لاَ يُرِيْدُ أَنْ يُحَاسِبَهُ عَلَى عَمَلِهِ السَّيءِ، فَلَيْسَتْ تِلْكَ مَهَمَّتُهُ، وَلَكِنَّهُ رَاقَبَهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُوْنَ جَاسُوساً لِلأَعْدَاءِ، لأَنَّ الأَعْدَاءَ نَشِطُوا في تِلْكَ الفَتْرَةِ لِلتَّجَسُّسِ وَمَعْرِفَةِ أَخْبَارِ البِلاَدِ، فَكَانَ سَعِيْدٌ يَمُرُّ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَمَامِهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَيَنْظُرُ فِيْهِ وَيَتَأَمَّلُهُ مَلِياً ثُمَّ يَمْشِي، وَشَفِيْقٌ مُطْرِقُ الرَّأْسِ يُنَادِي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ، وَيُرَدِّدُ عِبَارَتَهُ الَّتي حَفِظَها النَّاسُ: «يَا اللَّهُ يا رَزَّاقُ يا كَرِيمُ، لَيْسَ كَثِيراً عَلَيْكَ يَا رَبِّ أَنْ تَرْزُقَنِي بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ ثَلاَثَمِائَةِ

وَستّينَ جُنَيْهاً وَنِصْفاً» ونصفُ الجُنَيْهِ يُسَاوِي خَمْسِيْنَ قرشاً.

اجتماعُ أَهْلِ الخَير:

وَاجْتَمَعَ المُوْسِرُوْنَ وَأَهْلُ الخَيرِ فِي البَلْدَةِ، وَتَدَارَسُوا أَمْرَ هَذَا الرَّجُلِ الغَرِيْبِ، وَذَكَرُوا خَبَرَهُ في مُجْتَمَعِهِمْ، حَتَّى انْتَشَرَ أَمْرُهُ، وَانْقَسَمَ النَّاسُ بَيْنَ مُؤَيِّدٍ لِمُسَاعَدَةِ هَذَا المِسْكِينِ، وَبَيْنَ مُعَارِضٍ لِذَلِكَ، فَوَقَفَ قِسْمٌ مِنْهُمْ وَهُمُ البُسَطَاءُ الطَّيِّبُوْنَ وَقَالُوا: لَوْ لَمْ يَكُنْ لِهَذا الغَرِيْبِ حَاجَةٌ مَاسَّةٌ لِهَذا المَالِ لَمَا صَبَرَ هَذا الصَّبْرَ، وَلَمَا طَلَبَ هَذَا

الطَّلَبَ، لَقَدْ قَصَدَ مَدِيْنَتَنَا، لأَنَّه يَعْرِفُ أَنَّها مَدِيْنَةُ خَيْرٍ وَعَطَاءٍ، فَعَارٌ عَلَى مَدِيْنَتِنَا أَلاَّ تُعْطِيَهُ، وَعَارٌ عَلَيْنَا وَعَلَى سُمْعَتِنَا بَيْنَ المُدُنِ الأُخْرَى أَنْ نَرُدَّهُ خَائِباً، عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَ لَهُ المَبْلَغَ الّذي يَطْلُبُهُ، وَلَنَا مِنَ اللَّهِ الثَّوابُ، فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَوَقَفَ النَّاسُ المُعَارِضُوْنَ الّذينَ خَبَرُوا مَكْرَ الشَّحَّاذِيْنَ، وَعَرَفُوا حِيَلَهُمْ وَأَسَالِيْبَ خِدَاعِهِمْ، وَقَالُوا: مَا نَرَاهُ إِلاّ مَاكِراً كَغَيْرِهِ، وَمَا أَدْرَانَا أَنَّهُ مُحْتَاجٌ فِعْلاً، وَلِمَاذا يَطْلُبُ هَذَا المَبْلَغَ الكَبِيْرَ بِالتَّحْدِيْدِ؟ فَلَوِ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَجْمَعَ هَذَا المَبْلَغَ

لَعَمِلْنَا بِهِ مَشْرُوْعاً خَيْرِيّاً لِلْبَلْدَةِ، وَلاَ نُعْطِيْهِ لِهَذَا المَاكِرِ.

وَكَثُرَ الجِدَالُ بَيْنَ أَهْلِ البَلْدَةِ، وَانْتَصَرَ رَأْيُ البُسَطَاءِ الطيِّبِينَ، وَقَالُوا: تَحْدِيْدُ المَبْلَغِ بِهَذا الشَّكْلِ يَعْني حَاجَتَهُ لَهُ، وَمَا نَدْرِيْ رُبَّما يَكُوْنَ لَهُ وَلَدٌ فِي المُسْتَشْفَى، وَيَحْتَاْجُ لِثَمَنِ العَمَلِيَّةِ وَالعِلاَجِ، وَرُبَّمَا لَهُ زَوْجَةٌ تَلِدُ فِي المُسْتَشْفَى، وَتَحْتَاْجُ إِلى عَمَلِيَّةٍ تُكَلِّفُ هَذَا المَبْلَغَ، قَالَ المُعَارِضُوْنَ: إِذاً نَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ حَاجَتِهِ لِهذا المَبْلَغِ، لكِنَّ الطيِّبِيْنَ قَالُوا: لاَ تَسْأَلُوْهُ، وَلاَ تَكْشِفُوا أَسْرَارَ النَّاسِ، وَلا تَجْرَحُوا

شُعُوْرَهُ، نَجْمَعُ لَهُ المَالَ وَلِيَعْمَلْ بِهِ مَا يَشَاءُ، اَلْمُهِمُّ: أَنَّنَا اقْتَنَعْنَا أَنَّهُ مُحْتَاجٌ، وَالرَّسُوْلُ ﷺ قَالَ فِي السَّبْعَةِ الَّذِيْنَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَحْتَ ظِلِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ: **«وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ»**، نَحْنُ سَنُعْطِيْهِ المَبْلَغَ سِرّاً كي لا يَخْجَلَ.

اِنْطَلَتْ عليهم حيلةُ شفيق:

وَاتَّفَقَ رَأْيُ أَهْلِ البَلْدَةِ عَلى تَشْكِيلِ لُجْنَةٍ تَجْمَعُ التبرُّعَاتِ لِهَذا المِسْكِيْنِ، وَتَسَابَقَ الخيِّرُوْنَ لِلْعَمَلِ في هَذِهِ اللُّجْنَةِ، لِيَكْسِبُوا الثَّوَابَ،

وَلِيَجْمَعُوا المَبْلَغَ المَطْلُوْبَ لِهَذَا الصَّالِحِ، حَتَّى يَفُكُّوا ضِيْقَهُ وَيُفَرِّجُوا عَنْهُ كُرْبَتَهُ، لأَنَّهُ «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَتَهُ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ»، وَتَبَرَّعَ أَهْلُ البَلْدَةِ بِمَا تَجُوْدُ بِهِ نُفُوْسُهُمْ، وَقَدْ يَتَبَرَّعُ الشَّخْصُ مِنْهُمْ بِالقِرْشِ أَوِ القِرْشَيْنِ، وَهُوَ أَحْوَجُ مَا يَكُوْنُ لَهُمَا، لَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُسَاهِمَ فِي هذا المَجْهُوْدِ مَعَ أَبْنَاءِ بَلْدَتِهِ وَيَكْسِبَ الثَّوَابَ العَظِيمَ.

وَمَا هِيَ إِلاَّ أَيَّامٌ مَعْدُوْدَاتٌ، حَتَّى اجْتَمَعَ لَدَى اللَّجْنَةِ مَبْلَغٌ كَبِيْرٌ، فَعَدُّوْهُ وَحَسَبُوْهُ فَكَانَ

ثَلاثُمِائَةٍ وَسِتِّينَ جُنَيْهاً وَسِتِينَ قِرْشاً، فَرِحَ أَهْلُ البَلْدَةِ كَثِيْراً، لأَنَّهُمْ جَمَعُوا لَهُ المَالَ المَطْلُوْبَ مَعَ زِيَادَةِ عَشْرَةِ قُرُوْشٍ، وَأَسْرَعُوا إِليه لِيُعْطُوْهُ الْمَبْلَغَ، وَاقْتَرَبُوا مِنْهُ بِلُطْفٍ، وَهَمَسُوا في أُذُنَيْهِ كَيْ يَنْتَحِيَ جَانِباً، وَيُسَلِّموهُ المَبْلَغَ في السِرِّ، وَخَاطَبَهُ كَبِيْرُ القَوْمِ، وَقَالَ لَهُ: اطْمَئِنَّ أَيُّها الشَّيخُ الصَّبُوْرُ، لَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَائِكَ، وَقَدْ جَمَعْنَا لَكَ المَبْلَغَ بِيُسْرٍ، وَهَذَا هُوَ، فَاسْتَلِمْهُ، إِنَّهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَسُتُّونَ جُنَيْهاً وَستُّونَ قِرْشاً، قَالَ السَّائِلُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، الحَمْدُ لِلَّهِ الّذي

اسْتَجَابَ دُعَائِي وَنِدَائِي، وَلَكِنَّني لاَ آخُذُ إِلاّ المَبْلَغَ الذي طَلَبْتُهُ مِنْ رَبّي، وَرَدَّ لَهُمْ القُرُوْشَ العَشْرَةَ، قَالُوا: جَمَعْنَاهَا لَكَ وَمَا نَفْعَلُ نَحْنُ بالقروشِ العشرَةِ؟ إِنّها جُمِعَتْ لأجلِكَ، فَلِمَنْ نَرُدُّهَا؟ خُذْهَا وانْتَفِعْ بِها، قال السائلُ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ آخُذَ غَيْرَ حَاجَتِي، فحاجتي فَقَط إلى المَبْلَغِ الّذي طَلَبْتُ، ثم رَجَاه كَبيرُ القومِ ليأْخُذَ العَشْرَةَ قُروشٍ، فَأَبى وَأَصَرَّ على مَوْقِفِهِ، فَقَالوا: يا سَيّدَنَا الشَّيخ، خُذْهَا ولا تُحْرِجْنَا، لَكِنَّهُ رَفَضَ وقال: لا تُحْرِجُوني، لا أَسْتَطيعُ، لا أستطيع.

فَعَجِبَ منه أهلُ البلْدَةِ، وقالوا: هذا شيخٌ فَاضِلٌ مُبَارَكٌ، إِنّهُ مِنْ أَهْلِ الأَسْرارِ والأَنْوارِ، فَدَعَوْهُ لِوَلِيْمةٍ عِنْدَهم، ثُمّ إنّه حَمَل المَبْلغَ، وانطلقَ به خارجَ البَلْدَةِ.

سعيد يتابع شفيق:

أما سعيدٌ، رجلُ الأمنِ، فإنه كَانَ يُتَابِعُ تَحَرُّكَاتِ الشحّاذِ شفيقٍ يوماً بيوم، فقدْ رَأى أَهْلَ البَلْدَةِ حين جَمَعُوا لَهُ المالَ، وَرَآهُم بَعْدَ ذَلِك يُجِلُّوْنَه وَيَحْتَرِمُونَهُ، لَكِنَّه ما زالَ هو في شَكٍّ وَرَيْبٍ مِنْ أَمْرِ هذا السَائِلِ الغَريب، لذلك تابَعَهُ

بخُفْيةٍ وِسرّيّةٍ تامّةٍ، وكانَ السائلُ منْ بلدةٍ كبيرَةٍ في ذلك القِطر، وَمَا إنْ وَصَلَ إليها حَتّى رَكِبَ سَيّارَةَ أجرة، وَانْطَلَقتْ به في شَوَارِعِ تلكَ المدينةِ الكبيرَةِ، ثم تَوَقَّفَتْ أمامَ مَبْنَىً كَبِيْرٍ فَخْمٍ، فَنَزَلَ مِن السيّارةِ ودخلَ البيتَ، فَجَلَسَ سعيدٌ الذي كانَ يُتَابِعُهُ مقابلَ البيتِ تحتَ شَجرةٍ مُتَدَلّيةِ الأغصانِ، مُخْتَفِياً عن الأنظارِ، وطالَ انتظارُ سعيدٍ لَهُ إلى ما بَعْدَ العِشَاءِ، ثم فُتِحَ بابُ المَبْنَى الفَخْمِ وخَرجَ منه رَجُلٌ وسيمٌ يَلْبَسُ فَاخِرَ الثّيابِ، واضعاً بينَ شَفَتَيْهِ سِيجَارَةً طويْلَةً، مُتَأَنِّقاً

في شكلهِ ومَظْهرِهِ غايةَ التَّأَنُّقِ، فتأمّلَهُ سعيدٌ مَلِيّاً تحتَ أنوارِ كشافاتِ الشّارعِ، وقالَ: مَنْ هَذَا يا تُرَى؟ وتَابَعَهُ فإذا المِشْيَةُ مِشْيةُ ذلكَ السائلِ شفيقٍ، وتَسَاءَلَ سَعِيْدٌ: أَهَذَا هو شفيقٌ يا تُرى؟ أينَ اللّحْيَةَ الطّويْلَةَ؟ وأينَ الشعرَ الذي كان يُخالِطُه الشّيبُ؟ ثم مَشى قريباً منه وحَاذاهُ، وكان سعيدٌ قد رأى علامَةً مُمَيَّزةً في أُذُنِ السَّائلِ مِنْ قبل، فنظرَ إلى أُذُنِهِ اليُسْرَى، هذِهِ هي العَلامَةُ، شَامَةٌ كبيرةٌ في أَعْلى أُذُنِهِ اليُسْرَى، إنّه هُوَ، هَكَذَا تَمْتَمَتْ شَفَتَا سَعِيدٍ، وقالَ في نفسِهِ

يا لَلْمُحتالِ! ثم دَخَلَ شَفِيقٌ في أَحَدِ المَقَاهي واخْتَلَطَ مَعَ أصدقائِهِ، وَتَشَوَّقَ سعيدٌ لمتابَعَةِ شفيق، وجَمْعِ المعلوماتِ عنهُ، لِيُبَلِّغَ أَهْلَ القريَةِ بخبرِهِ، حتى لا يَنْخَدِعُوا بِأَمْثَالِهِ مرةً أُخرى، فَقَد خَدَعَهُمْ بمظْهَرِهِ ليكسِبَ عَطْفَهُم.

وَأَجْرَى سَعِيْدٌ في اليومِ التالي تحرّياتٍ عَنْ شفيق، وسألَ عَنْهُ بعضَ الجيرانِ، فَلَمْ يَحْصُلْ على معلوماتٍ كافِيَةٍ مِنْهُمْ، لأَنَّ أَغْلَبَهُمْ لم يَرَهُ أَوْ يَخْتَلِطْ بِهِ مِنْ قبل، فقدْ كانَ شفيقٌ لا يَخْرجُ مِنْ بيتِهِ إلا لَيْلاً، واسْتَمَرّ سعيدٌ فِي جَمْعِ

المَعْلُوماتِ عَن شفيقٍ، وَفي إِحْدَى اللّيالي دَخَل شَخْصٌ إِلى المبنى الّذي يُقِيم فيهِ شفيقٌ، ومَكَثَ عِنْدَهُ قَلِيْلاً ثُم خَرَجَ، وارْتابَ سَعيدٌ مِنَ الأَمْرِ، تُرى مَاذا قَالَ لَهُ هذا الشخص؟ وماذا أَخَذَ مِنْهُ أَوْ أَعْطَاهُ؟ جلسَ سعيدٌ تحت الشجرةِ مقابِلَ بيتِ شفيقٍ يُفَكّرُ في الأمْرِ ويُراقبُ المنزلَ، وبعدَ مُنتصفِ الليلِ خرجَ شفيقٌ بِزَيِّ السائلِ الشّحّاذِ، بلحيةٍ طويلةٍ وشعرٍ يُخَالِطُهُ الشّيبُ، وَمَعَهُ عُكّازٌ ضَخْمٌ، ومَشَى إِلى الشّارِعِ الكبيرِ، ثم طَلَبَ سَيّارَةَ أُجْرَةٍ، فاسْتَقَلَّها، وَتَابَعَهُ سَعيدٌ حَتى وَصَلَ

إلى مَحطّةِ القِطَارِ، فنزلَ هناكَ ثم اسْتَقَلَّ القِطارَ إلى مدينةٍ أُخرى بعيدة.

القبضُ على شفيق:

وانْطَلَقَ قطارُ الفجرِ يحْمِلُ شفيقاً وَسَعيداً معاً. وبعدَ مُضِيّ حوالي خَمْسِ ساعاتٍ في القطارِ، نَزَلَ شفيقٌ في البلدَةِ التي قَصَدَها، وكانَ الوقتُ قَبْلَ صلاةِ الظُهرِ بقليلٍ، ثم انْتَقَى رُكْناً مُنَاسِباً في هذه البلدَةِ وجَلَسَ فيه، وأخذَ يسألُ الناسَ وَيُنَادي كما كانَ يفعلُ في البَلْدَةِ السابِقَةِ، وبَعْدَ مُضِيّ بِضْعِ دقائقَ، اقتَرَبَ مِنْهُ شَحّاذٌ آخر

يحملُ صُرَّةً فيها طَعَامٌ، فَأَعْطَاهَا إِلى شَفِيْقٍ، وَمَدَّ شفيقٌ يَدَهُ إلى مِعْطَفِهِ الغليظِ، وأخرجَ منه صُرَّةً صغيرةً ثم نَاوَلَهَا لِلشحّاذِ الآخر، فَحَمَلها الشحّاذُ وَمَضَى بِها مُسْرِعاً، شَكَّ سعيدٌ في محتوياتِ الصُّرَّةِ، وأسرعَ نَحْوَ رِجالِ الأمْنِ، وأبلَغَهُمْ بالأمْرِ، فاعْتَرَضُوا الشحّاذَ الآخرَ وقَبَضُوا عليهِ، ثُمّ أخذوا منه الصُرَّةَ فَفَتحوها، فإذا بِهَا مُخَدِّراتٌ ممنوعةٌ، فَأَوْدَعُوْهُ سيارةَ الشرطةِ ثم توَجّهوا نحو شفيقٍ وقَبَضُوا عليه وفَتّشُوا صُرَّةَ الطعامِ التي كانتْ معه، فوجدوا فيها جنيهاتٍ

كثيرةٍ، لقد كانتْ هذه الجنيهاتُ ثَمَنَ المُخدّراتِ المُحَرّمَةِ، فَقَبضُوا أيضاً على شفيقٍ، وفي مَخْفَر الشُّرطة اعترَفَ شَفِيقٌ بِبَيْعِ المُخدراتِ، وكان يَمْتَهِنُ حِرْفَةَ الشحاذةِ في الطريقِ، لكي يَسْهُلَ عليه البيعُ والاتصالُ ببقيّةِ شركائِهِ المتفرّقِين في البلادِ، ولِكَيْ لا يَشُكَّ بهِ رِجَالُ الأَمْنِ، فَيُفْلِتَ من رَقَابَتِهِمْ، وَهُنَا تابعَ رجالُ الأَمْنِ القبض عَلَى بَقِيّةِ أفْرَادِ العِصَابَةِ التي تبيعُ المُحَرّماتِ، وَأَوْدَعَتْهُم في السّجنِ.

لقد شاءَتْ عِنَايَةُ اللّهِ أَنْ يَكْشِفَ سَعيدٌ

هذه العصابةَ بعد صَبْرِه وَمُتَابَعَتِهِ لِشَفيقِ الذي كانَ يَسْتَغِلُّ حُبَّ المسلمين لعملِ الخيرِ، فكانَ يَحْتَالُ على أَخْذِ أموالِهِم من جهةٍ، ويُخْفِي بَيْعَهُ للمُخدّراتِ من جهةٍ أخرى، وعلينا ألا يَفُوتَنَا أمثالُ هؤلاءِ الضالّين المُضِلّين، وأنْ نُوَجّهَ صَدَقَاتِنَا وَتَبَرُّعَاتِنَا للفقيرِ المحتاجِ حَقّاً، وهذا سَهْلٌ إذا وَجّهنا هذهِ الصّدَقَاتِ إلى جَمْعِياتِ البِرِّ التي تنفقُ على المُحْتاجين المُسْتَحِقّين.

❁ ❁ ❁